

تفسير ابن كثير

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ^ق كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ^ج فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

وقوله تعالى : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) يبين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندتهم . كما قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أئمة يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حريملة ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل . وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء . وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة . فأنزل الله في ذلك من قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال : إن كلا يتلو في كتابه تصديق من كفر به ، أي : يكفر

اليهود بعيسى وعندهم التوراة ، فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى ،
وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى ، وما جاء من التوراة من عند الله ، وكل
يكفر بما في يد صاحبه . وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : قد كانت أوائل اليهود والنصارى
على شيء . وقال قتادة : (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) قال : بلى ، قد كانت
أوائل النصارى على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا . (وقالت النصارى ليست اليهود على
شيء) قال : بلى قد كانت أوائل اليهود على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا . وعنه رواية
أخرى كقول أبي العالية ، والربيع بن أنس في تفسير هذه الآية : (وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) هؤلاء أهل الكتاب الذين
كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا القول يقتضي أن كلا من الطائفتين
صدق فيهما رمت به الطائفة الأخرى . ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه ،
مع علمهم بخلاف ذلك ؛ ولهذا قال تعالى : (وهم يتلون الكتاب) أي : وهم يعلمون
شريعة التوراة والإنجيل ، كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ، ولكن تجاحدوا فيما
بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفساد بالفساد ، كما تقدم عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة

في الرواية الأولى عنه في تفسيرها ، والله أعلم .وقوله تعالى : (كذلك قال الذين لا يعلمون

مثل قولهم) يبين بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا من القول ، وهذا من باب

الإيماء والإشارة . وقد اختلف فيما عنى بقوله تعالى : (الذين لا يعلمون) فقال الربيع بن

أنس وقتادة : (كذلك قال الذين لا يعلمون) قالا وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم

. وقال ابن جريج : قلت لعطاء : من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أمم كانت قبل اليهود

والنصارى وقبل التوراة والإنجيل . وقال السدي : (كذلك قال الذين لا يعلمون) فهم :

العرب ، قالوا : ليس محمد على شيء .واختار أبو جعفر بن جرير أنها عامة تصلح للجميع ،

وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الأقوال ، فالحمل على الجميع أولى ، والله

أعلم .وقوله تعالى : (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي : أنه تعالى

يجمع بينهم يوم المعاد ، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ولا يظلم مثقال

ذرة . وهذا كقوله تعالى في سورة الحج : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين

والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل

شيء شهيد) [الحج : 17] ، وكما قال تعالى : (قل يجمع بينا ربنا ثم يفتح بينا بالحق

وهو الفتح العليم ([سبأ : 26] .